ملاحظات :

1. كثير من الدرجات لدى الغربيين من أصل اغريقي أو لاتيني ثم تبناها الاستعمال الديني فكانت من مصطلحات الكنيسة ورجالها. فالدكتور مثلاً في الاصل هو الذي يعلم علناً، واطلقه اليهود على الرباني العالم بالشريعة، واطلقه المسيحيون على الذي يفسر الكتب المقدسة ودخل اللقب الجامعات لأول مرة في جامعة بولونيا في ايطاليا في القرن الثاني عشر ثم تبعتها جامعة باريس .

2. أول لقب علمي يعد لدراسة أعلى في النظام الانكليزي البكالوريوس والبكالوريوس نوعان : في العلوم ، وفي الآداب .

ويلي لقب البكالوريوس في النظام الانكليزي (الماجستير) وهي نوعان : للعلوم وللآداب.

وتلي الماستر(الماجستير) في النظام الانكليزي الدكتوراه : وحاملها دكتور والدكتوراه هذه واحدة للعلوم والآداب ومختلف أنواع المعرفة والتخصص ووصفها الوحيد انها في الفلسفة وكثيراً ما نترجمها بدكتوراه في الفلسفة، وقد يسبب لنا ذلك اضطراباً في الدلالة مما يجعل المستحسن أن نفك المصطلح إلى دلالته الجزئية ... فنقول دكتوراه في الطب واذا كان يحملها في القانون قلنا : دكتوراه في القانون ، واذا كان يحملها في الآداب قلنا : دكتوراه في الآداب .

أما الفرنسيون فيفرقون في الدكتوراه منذ البداية إلى علوم وآداب ، ثم أن الدكتوراه نفسها على درجات - كما رأينا - جامعية ، والدائرة الثالثة ودولة .

وللانكليز نوع آخر من الدكتوراه منها ماهو خاص بالعلوم ومنها ماهو خاص بالآداب وهذه الدكتوراه تمنح (تشريفاً) بعد الدكتوراه السابقة (الدراسية) للباحثين الكبار الذين يحققون اصالةً واستمراراً ومن هنا حسن أن نترجمها بدكتوراه شرف في العلوم ... ودكتوراه شرف في الآداب .

3. أن فرنسا لا تميل كثيراً إلى أن تقيم العمل الصفي على الرجوع إلى المصادر العديدة والعودة منها بمعلومات وحواش في صفحات كثيرة، وانما تميل إلى تربية الجانب العقلي للطالب وتوجيهه نحو المنهج السليم في فهم موضوع ادبي والاعراب عن فهمه وما كون عنه من آراء في خطة متماسكة .

فالمهم في كل ذلك هو السعي الى تنمية مقدرة الطالب على تنظيم افكاره وعرضها واضحة دقيقة والسير بها متراصة متماسكة الاجزاء من دون اضطراب وتقديمها بلغة سليمة فالبحث لا يعني اهمال الجانب العقلي كما ان العناية بالجانب العقلي لا تستغني عنه المادة العلمية .

وقد تنفعنا هذه الملاحظة في أمرين :

الأول : ألا نبالغ في محاسبة طلبتنا بشأن البحث العلمي القائم على المصادر والحواشي وأن تكون أهم غاياتنا فيه تزويد الطلبة بالمنهاج العام في حدود مستطاعهم .

الثاني : أن نعتني بالجانب الفكري للطلبة وما يعينهم على عرض رأيهم سليماً بلغة سليمة، فنسعى إلى ايجاد درس جديد باسم (المقال) وليؤيد درس البحث كأننا نريد به إلى (المقال الفكري) .

ان (المقال الفكري)هذا اذ يربي في الطلبة القدرة على التفكير وتنظيم الافكار وحسن عرضها وقوة الشخصية، يعدهم اعداداً جيداً للبحث نفسه، لانهم - لدى اعداد بحوثهم غداً - يلاقون مثل هذه الاحكام والنصوص وعليهم أن يقفوا عندها وقفات خاصة للمناقشة أو التحليل.

الباحث

لكل باحث صفات خاصة : فطرية ومكتسبة ، خلقية ومهنية . واذا نظرت إلى هذه الصفات وجدتها كثيرة ، ووجدت فيها ما يشارك به المختصين الآخرين في كل حقل من ذكاء وعلم وثقافة عامة وخاصة وتجربة وما إلى ذلك ، ومن اخلاص وأمانة وما اليهما ؛ ومنها ما يشارك به غيره ، ولكنها لديه ذات دلالة مرتبطة بعمله الخاص ؛ ومنها ما يجب أن يتفرد به بحكم (البحث) .

ويمكن أن نوجز أهم شروط الباحث بما يأتي :

١. الرغبة :

الرغبة وهي شرط للنجاح في كل عمل ، وشرط في البحث ، فاذا فرض عليك البحث فرضاً ضقت ذرعاً وكنت كالمضطهد . ولا يمكن في هذه الحال أن ينجلي ليلك عن نهار. اما اذا كنت راغباً في ان تبحث، أنست بعملك ولازمتك خلاله نشوة فبذلت بسبب ذلك الجهد واستهنت بالوقت ولم يشغلك شاغل .

ولا يعني هذا حجة رخيصة يتوسل بها الطالب الذي يؤثر الراحة ، فقد يحسب امرؤ أنه غير راغب على التوهم ، أما اذا بدأ وسار قليلاً فانه يكتشف حقيقته فيحس بمتعة البحث ويسير ويسير .

انك في الصفوف المتقدمة من الثانوية وفي مرحلة الليسانس أو (البكالوريوس) في دور التجربة ، ولابد من أن تقبل على البحث وتحمل عليه نفسك ، أول الأمر في الاقل .

ثم أن قلة الرغبة لا تكون سبباً وجيهاً للانصراف عن البحث ، لانه أمر لابد منه . اما التوفيق فيه ودرجة هذا التوفيق فذلك ما يقدره الاستاذ (ويقدر معه ظروفك) .

٢. الصبر :

طريق البحث طويلة شاقة ، ومثل هذه الطريق لا تقطع بالرغبة وحدها . وما اكثر الراغبين الذين ينكصون منذ البدء ، فقد تكون الرغبة الظاهرة نزوة عابرة يجهل صاحبها كنهها . ومن هنا وجب أن يصحب الرغبة الصبر على المكاره والصمود ازاء المعوقات والمثبطات ، والمثابرة وبذل الوقت دون تأفف أو تذمر - في الجمع والمناقشة والتأمل. وقد تنتهي وقفة طويلة إلى ما لم يرد باحث فتذهب جهوده هباء او كالهباء. فاذا كان صبوراً جدد عزمه وبدأ مجدداً ... وهكذا .

٣. التتبع :

ويقترن بالصبر التتبع وحب الاطلاع على ما قيل ويقال وكتب ويكتب وصدر ويصدر ؛ والارتياح للاقامة في دور الكتب مراجعاً هذا الكتاب و(متصفحاً) ذاك ، ومقتبساً ملاحظة من ذلك . لان البحث لا يعتمد عدداً محدوداً من مشهور المصادر ، وانما لابد من الرجوع إلى كتب أخرى تبدو أقل أهمية ولكنك قد تجد في زواياها ما يمكن أن يجلو غامضاً او ان يفتح باباً او ان يسد طريقاً على آخرين .

ثم ان البحث لا يُحد في ميدان واحد ، وانما هو متشابك مع الميادين الأخرى . يعطيها ويأخذ منها . فلا تقل أن حقلي الأدب ولا يهمني التاريخ ، ولا تمت الي الجغرافية بسبب ؛ او ان بحثي حديث فلا حاجة لي بالماضي القريب او البعيد .

يقرأ الباحث كل شي ... بما في ذلك المجلات والدوريات والفهارس ... ويستمتع بما يقرأ ، ويقتبس من ذلك ما يتصل بموضوعه .

4. الحافظة والذاكرة والربط :

أن القراءة الكثيرة لا تعني شيئاً كثيراً ما لم يبق الأساس من المادة في الحافظة ، ويبقى معه اسم الكتاب واسم المؤلف وأمور أخرى تتصل بالاعلام والاحداث والسنوات ... ونصوص الأقوال .

والحافظة هذه لا تجدي كثيراً ما لم يتذكر الباحث مادتها في الوقت المناسب ليستشهد بها ويستعرضها ويعود اليها . ولا خير يرتجى بأن تذكرها متقطعة ، لان الشرط في الأمر أن يربط الباحث بين الأجزاء المتباعدة ويصل ما قرأه اليوم بما قرأه أمس ، ويجمع بين ما رآه في كتاب قديم وما رآه في كتاب جديد ... وهكذا تستكمل كثير من العناصر .

5. الشك والتثبت :

يقال : (سوء الظن من حسن الفطن) والقول ثمرة لتجارب طويلة في خضم الحياة ، وليس البحث بمنفصل عن خضم الحياة ، فما أولانا اذاً ، أن نأخذ به ونحن ندرس الحياة الطويلة ونستعيدها ونستشرفها .

أجل ، نقرأ كثيراً ، ونسمع كثيراً ... على ألا نقبل كل ما يقدم الينا في يسر، دون نظر ، ودون تقليب على الوجوه ، بل دون ممانعة وشك في صحة ما نسمع أو نرى أو نقرأ .

نقرأ الخبر مرة كما هو ، ومرة على اسوأ مما نراه عليه، ومرة على أحسن مما نراه ، وفي كل وقفة نطيل التأمل مناقشين ما له وما عليه حتى نبلغ ما نطمئن اليه .

هذا شك من دون سوء في القصد، شك نقّاد ، بنّاء ، لانه يبغي وجه الحقيقة ولا يقوم على المماحكة أو المغالبة أو المرض النفسي . ومن هنا كانت ضرورته، و كانت جدواه . ويمكننا أن نسميه شكاً علمياً .

والشك العلمي مظهر حضاري لم يصل اليه الانسان الا بعد ان قطع أشواطاً من المعرفة ، وسار طويلاً في تاريخ العقل . فللشك في دنيا البحث العلمي الصرف مكانه المرموق .

الشك ضروري ، على أن يكون علمياً وفي حدود الحقيقة ، وأن يقع في السلب والايجاب ، وفيما لنا وماعلينا . أما الشك المرضي ، أو الشك الذي تدفعك اليه نزوة من اجل مخالفة المألوف ، والشك الذي أصبح فيك سوء ظن نتيجة تجارب مرة خاصة بك فجعلت منك (شكاكاً) على صيغة المبالغة أو ظنونياً كما في الاستعمال الدارج لها ، فهو خارج حدودنا وليس من منهجنا .

ان الشك المناسب ضروري وهو دليل صحة في العقل الفلسفي . والعقل الفلسفي (وسمه ان شئت الذهن الفلسفي، أو الافق الواسع، أو العقلية أو الذهنية) شرط في عمق البحث وسعة جوه، وهو ثمرة للذكاء والتجربة والملاحظة الواعية ينفذ به المرء الى الاسرار ويحيط بالاجزاء .

وعلى الباحث أن ينطلق عن ايمان بفلسفة معينة ومن هنا احتجنا الى الثقافة الفلسفية والعقل الفلسفي ... والنظرة الانسانية الى ماهو في الماضي والحاضر والمستقبل والى ماهو أبعد أثراً واطول دواماً .